

حلم بنجاح سريع وسهل

بقلم
جي. بول تانر، دكتوراه في اللاهوت

تناول الأطعمة الفخمة في النادي مع أصحابه
وزملائه في العمل. كان كل شيء في بيئته
نظيفاً ومنظماً... شاهداً على إنجازهِ
البشري.



لا يمكن إلا أن يروق لنا هذا الحلم الذي
يعيشه هذا المدير التنفيذي. غير أن
معظمنا من الحكمة بحيث يدري أن هذا ينطوي
على خيال أكثر مما ينطوي على واقع. فغالباً
ما تتحقق الإنجازات ذات القيمة (خاصة ذات
القيمة الأبدية) من خلال العمل الشاق المخلص
تحت ظروف صعبة في بيئة ليست مثالية.
وكثيراً ما ننظر إلى عالمنا من يوم إلى آخر
فنحس بالإحباط أكثر مما نحس برضى

ل تجد نفسك تسيح أحياناً في
بحر من الوهم حيث تأتيك كل
مشتهيات قلبك بسهولة وتكفل كل جهودك
بالنجاح؟ لنأخذ أندراوس على سبيل المثال.
كان أندراوس شاباً ذا ذكاء كبير، مما مكّنه من
الحصول على شهادة البكالوريوس في علم
الحاسوب وشهادة الماجستير في إدارة الأعمال.
وبدا أن الطريق الوحيد أمامه هو إلى "فوق"
... إلى أعلى... إلى مزيد من النجاح الذي
يعني الثراء. وسرعان ما انضم إلى شركة
حاسوب عريقة كانت تؤسس عدة مصانع
للرقاقات في عدة مناطق استراتيجية من شرق
آسيا. فكان يستقل سيارة فخمة براقه مزودة
بأحدث هاتف يدوي. واعتاد أن يتألق في
ملابسه المفصلة وآخر صيحات ربطات العنق.
وكان فخوراً بعمله في جو من المحترفين المتماثلين
الفكر. أما عطلة نهاية الأسبوع فكانت تشمل

الإنجاز. ويصبح الإحباط رفيفنا القريب مع
نزول حبات الرمل حبة حبة بلا شفقة من خلال
زجاج الساعة الرملية. فإلى أين نلجأ في مثل
هذه اللحظات لكي نستمد دافعاً من شأنه أن
يجعل تعبنا اليومي يتحول من الكدح إلى ابتهاج
حملنا على أجنحة النسور؟



فلم يكن الهيكل الجديد كذلك الذي يتذكرونه،
ذلك الذي بني في عهد سليمان. لم يؤدِّ عملهم
بشكل فوري، رغم جدّيته، إلى صرح عظيم
بأي مقياس. وتحسر الشعب على جهودهم
التي بدت ضرباً من العبث، فكانت تبعث على
الاشمئزاز كملابس جديدة لها تانة عرق قدر.
وقد خارت عزائم قادتهم، بمن فيهم زربابل
ويهوشع، بسبب ضخامة المهمة وبطء العمل.
فلم يكن شيء مجيد في هذا!

مّر بنو إسرائيل زمن النبي حجّي بنفس
العملية. كان هؤلاء هم الذين عادوا من
السيبي البابلي بعد 538 ق م ليجدوا أرضهم
ومدنهم مدمّرة، وليجدوا هيكل سليمان الذي
كان مجيداً في يوم ما خراباً. كانت تلك أوقاتاً
عسرة، بل أكثر عسراً مما يمكن أن يواجهه
معظمنا يوماً. لكن الشعب استجمع، من
خلال تشجيع النبي حجّي، ما يكفي من الطاقة
لإعادة بناء أحلامه المهذّمة. فبدأ هيكل
جديد يبرز من الركام. ومع ارتفاع الهيكل
شيئاً فشيئاً زحف اليأس إلى قلوب الشعب.

في مثل هذه اللحظة كانت كلمة الله
من خلال شفّي النبي حجّي ملائمة
تماماً. "من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت
في مجده الأول؟ وكيف تنظرونه الآن؟ أما هو
في أعينكم كلا شيء! فالآن تشدد يا زربابل"
يقول الرب، وتشدد يا يهوشع بن يهوصاداق
الكاهن العظيم، وتشددوا يا جميع شعب
الأرض يقول الرب. 'واعملوا فإني معكم' يقول



رب الجنود" (حجّي 2: 3-4) وفي نفس
الفقرة أعلن الله أيضاً أنه سيعمل يوماً ما عملاً
عظيماً من جهودهم الضعيفة في الوقت الحاضر:
"مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد
الأول"، قال رب الجنود، وفي هذا المكان
أعطي السلام، يقول رب الجنود" (2: 9).
ربما لم يكن يبدو الهيكل الواهن في زمن حجّي
ذا قيمة، لكن كانت لله خطته لعملهم، خطط
تجاوز أقصى مدى يمكن أن يصله خيالهم،
خطط ستضمن مجيء المسيح يسوع الذي
سبني الهيكل الأعظم ويجلب سلام الله الذي
طال انتظاره.



صحيح أن العمل صعب عندما لا تتوفر لديك
إلا موارد قليلة تعمل بها، وعندما يبدو أن
الطريق كلها صعود متعب. غير أن هذا هو
الوقت الذي يجب فيه أن نذكر أنفسنا بأن الله
لا يدعونا إلا إلى عمل ما له قيمة أبدية، وبأنه لا
يتركنا وحدنا لنقوم بما يوكل إلينا عمله. يقول
"تشدّدوا، . . . فإنني معكم." لا أدري عن
موقفك أنت، لكنني أفضل أن أكون في خندق مع
يسوع، وأنا معفر من قمة رأسي إلى أخمص
قدمي، وملابسي مَسْخُة تماماً، على أن أمتع
بكل احتفالات التكريم وأسباب الراحة
والامتيازات التي تعدّ بها قصص النجاح
الدنيوية. فماذا عنك؟ هل يمكننا -أنا
وأنت- أن تشجع ونعود إلى العمل؟ وما دام لما
بننيه مستقبل، فإنه لا بأس إن عانينا من
الإزعاجات والمشقات الوقتية والتعب!

هل سألت نفسك يوماً ما كان
يمكن أن يكون عليه التاريخ
اليوم لو أن رجال الإيمان تخلّوا في وقت مبكر
جداً عن الأحلام التي أعطاهم إياها الله؟

